# مستقبل جمعيه الامم

بقلم المسيو لودويك نودو

اجتمعت الفكر اثناء انعقاد الجلسة السادسة لجمعية الامم للكتابة عن مستقبل الجمعية ، ثم ترددت في الامر وجدتني لا استطيع ايفاء الموضوع فتريثت حتى ارفض الاجتماع وتكون لدي رأيي ثابت عنها تدعمه بعض الحقائق الراهنة :

فما هو مستقبل جمعية الامم ؟ ان مستقبلها منوط بمستقبل الهيئة البشرية جمعاء ذلك المستقبل المجهول الغامض ، اما مجهوداتها التي قامت بها حتى الآن فهي من قبيل التجارب التي لم يسبق اليها غير اننا نرى هذه التجارب تعاد وتتكرر من آونة الى اخرى دون ان تدرك نتائجها العملية . ولا يسعنا في هذا المقام الا امعان النظر في تلك المجهودات الجديدة والتأثر والاستسلام للعاطفة التي يوحيها الينا منظر المجتمعين في قاعة الجمعية . ان وجود ممثلي اربع وخمسين دولة في قاعة واحدة بينهم ثلاثة عشر وزيراً للاشغال الخارجية ، وحضور نفر من نوابغ الرجال الافذاذ لانقاذ البشرية من وهدة الحروب والمظالم ، لدليل قاطع على عظم هذا الحادث الخارق الذي يعد اكبر محاولة حاولها الناس للخلاص من عوائدهم الموروثة ، وابعد شأو وصلت اليه مدنيتنا الحاضرة في الرجوع الى الرشاد والحكمة . عندما تتملكنا الحيرة ونقف مترددين في اختيار احسن الوسائل الموصلة لتحقيق تلك النزعات المثالي ، لا نجد امامنا من ينجدنا سوى مدينة جنيف حيث يتعاون الذكاء البشري ويجتهد في معرفة ذاته والرجوع الى نفسه والتبصر في اموره . نعم انه يحاول الآن

ادخال المدنية الى حظيرة معرفة الذات والولوج بها الى دور جديد لم يتبينه اسلافنا الا في الافق البعيد ولم يرده الا في تخيلاتهم . ان هذا العمل الشاق هو من قبيل تحدي الغرائز الحيوانية واستدعائها للمكافحة والنزال .

يرددون على الالسنة في اوربا الآن اقوالاً عن الحروب المقبلة ويوردون التكهنات عما سيحدث في المستقبل . فهنغاريا وحدها ، التي تقطعت اوصالها ، تطمح لاستعادة المقاطعات المنفصلة عنها . ثم ان المانيا وبولونيا تحاولان الاستيلاء على مصب نهر الفستول لان مصالح هاتين الدولتين تتعارض امام ميناء دانسك الحر . اما خارج اوربا فان الشعوب الناهضة حديثاً قد وضعت نصب اعينها تحقيق ميولها الوطنية وتدرعت بجميع الوسائل للتخلص من الوصاية وتأهبت للمناوأة والهجوم . وهنالك شعوب اخرى متدينة تصارح اوربا بالعداء وتتهيأ لمعاداة الجنس الابيض وقد بذلت جهد الامم تجاه ذلك كله غاية جهدها لاسماع صوتها وابلاغ رسالتها الادبية الى جميع الناس ، غير انه لا يزال البعض يصمون آذانهم و يزأرون من الحمية و يقولون عنها انها لا بد ان تتلاشى وتطفأ انوارها التي وصلت اقصى الشعور ولكنهم لو اعملوا الفكرة قليلا قبل القاء الكلام على عواهنه لوجدوا انها لا تزول وتفنى الا في سبيل جارف من الدماء الزكية قد يجرف معه معالم مدنيتنا . واذا كان الناس يفتشون بحق عن سبيل خلاصهم فلا يجب ان ينظروا خلفهم ، وعليهم ان ينظروا الى الامام و يرافبوا المستقبل البعيد فتمشي الى الامام اذن متدرعين بقوة الارادة .

عندما جلست في غرفة الصحافيين واجلت الطرف في تلك القاعة الفاخمة الزوايا حيث اجتمع ممثلو اربع وخمسين دولة سررت بالاكثر من حسن الترتيب لامكنتهم بدون ادنى تمييز بينهم فقد تعاقب وراء الوفد الفرنسي المهراجا بتيالا وعلى رأسه عمامته المرقاء وفي اذنيه الشوف اللامعة وتوسط الاثيوبيون المكفهرو اللون الاستوائيين والهنديين ، ولم يفتح شباب بريطانيا العظمى مكان اوسع من المكان الذي خصص

لممثلي حكومة ارلندة الحرة ، وقد اطاح وفود الهند وليتوانيا والبارغواي والنيكرغواي نواب جمهورية كوستاريغ الصغيرة وكافي بهم يتساءلون ويقولون لماذا اتينا الى هنا وما الذي سنعمله ونقترحه ؟

لقد احسنت الجمعية صنعاً بعدم تمييز الدول الكبيرة عن غيرها وتخصيصها بافضل المقاعد كممثلي الامم اذن قد جلسوا متساوين امام الحق . وقد قال المسيو بريان في خطابه الذي القاه في شهر مارس المنصرم : ( ان اجمل واشرف ما في البروتكول هو عدم التمييز والتفاوت بين الدول الكبيرة والصغيرة فهو يعتبرها متساوية في السير والمحافظة على سلام العالم ) . ونحن وان كنا نؤمن على ما قاله هذا الخطيب القدير غير اننا نجيب كيف تصح المساواة بين ممثلي دول غير متساوية ان هذه المساواة الظاهرة ليست الا خدعة لانه يوجد في جمعية الامم دول كبيرة تفخر مدرعاتها الضخمة في البحار وقلاع جبوتها الجرارة السهول ، ودول صغيرة اخرى لا تملك الا بضع نساءات ، فلا يصح اذن التغافل عن هذه الفوارق الهامة ، وغض الطرف عن الحقائق الملموسة ، ولا يعقل ان يستمد فائد الدارعة الكبيرة او اصه و يدعن لقائد النساءة الصغيرة اثناء النزاع على المرافق الحيوية .

الا يعد هذا التهيج دليلاً على ان الناس يأبون التعرف بالحقيقة المجردة و يفضلون الاستسلام لاحلامهم الذهبية ؟ تلك الحقيقة التي يدركها الجميع على السواء وهي انه يوجد في هذا الكون دول كبيرة ودول صغيرة . فالدولة الكبيرة لها مطامع واحتياجات ، وعندها مصادر القوة والسيطرة ، ولديها انتظامات الراقية والكمل المتجسمة بما لا اثر له عند الدول الصغيرة . نعم ان بين الاربع والخمسين دولة الممثلة في جنيف اربع فقط تملك المدرعات الضخمة هي بريطانيا العظمى وفرنسا وايطاليا واليابان فاذا انفصلت عن الجمعية وتخلت عن الباقين لا يلبثوا ان يتعرفوا و يتشتتوا ايدي سبأ . نحن الآن نعلم رأي جوهري يتحتم علينا ايضاحه بما

يستلزمه من الجرأة والصراحة . فاذا كانت المجاملة الدولية تتطلب المرء على قاعدة المساواة ، وتعطي جمهورية هايتي مثلا مكانا في جمعية الامم يماثل المكان المخصص بريطانيا العظمى ، فلاشك ان الدول الكبيرة في الاوقات الحرجة لاتعود تهتم الا بنفسها وتقرر ما يوافقها من الآراء التي يعرضها المحلفون العالميون المزعومون . فرض عهد جمعية الامم وقرر بروتوكولها اكثر من مرة انزال العقوبة وتطبيق الجزاءة على الدولة المعتدية في نزاع دولي . ولكن من ذا الذي يفرض العقوبة فيما لو ضراً حادث لجاني غير الاقوياء الخاصون سليمو النية يوقعون بالاقوياء الماكرين المعتدين انا نعجب على كل حال بهذا المجلس الدولي المنعقد في جنيف وننظر نظرة الاحترام الى انه انبل عمل قام به النوع البشري رغم كوننا نحن الفرنساويين باستطاعتنا ان نبث في مقدراتنا ونكيف علاقاتنا التي نربطها مع الدول المجاورة رأساً وكما نريد . لقد سارت جمعية الامم حتى اليوم وفقاً لتعليمات هيئتها الادارية المشكلة من الدول الكبيرة التي نوهنا عنها . تألفت الشعوب الاسيوية منها ونعتتها بالعصبة الاوربية فالصينيون مثلا ، الذين يؤلفون اكبر عدد بين الاجناس ، وتكفهر وجوههم عندما يجدون ان لانصيب لهم من الرأي في هذه العصبة وان ليس لهم ممثلون فيها . فالياباتيون لهم في الجمعية ممثل واحد وها نحن نراهم يتداخلون في المنازعات التي تنشب بين الاوربيين كمحكمين ، ويتحشون في الشرق البعيد على سياسة معاصرة الاسيوية الضارة بمصلحة الجنس الابيض . فهل تعيش جمعية الامم طويلا في ظل مثل هذا النظام . انها محتاجة لكثير من المبادئ السامية حتى تصبح ذات سيادة عالية وتحكم بالعدل ، في حين ان العالم نفسه لايعرف المساواة فهناك شعوب ذات سيطرة وجاه ، واخرى لاتملك من الحق سوى ان تكون تابعة . امم مستعمرة دأبها الفتح واكتساح البلدان ، واخرى محكومة تقاوم هذه الفتوحات وتناهضها . فهل يفكر احد هذا الامر ؟

لا يفوتكم تمثيل هندي تزينه الجواهر الثمينة في قاعة الجمعية قاعة بريطانيا العظمى في التي جلسته واجلسته في ذلك المقعد بينما اخوانه الهنود الذين يختلفون عنه بالزي والمظهر غير راضين . انظروا اليوم الى بلاد الصين تروا ان النهضات الوطنية التي امتدت الى كل مكان فيها ذو اخر يتها . ان وجود الحكومة اليابانية في جمعية الامم صنفتها التمثيلية هو اعظم تشجيع للاجناس التي هي من غير الجنس الابيض في نزاعها مع الغربيين ، وهو ايضاً دليل على استسلام اوربا ورضوخها للامر الواقع واعترافها بتلك الحكومة انها صارت من عداد الدول العظمى ويمكنها الاشتراك معها في ادارة شؤون العالم ، بمجرد انها رأت شعبها على جانب عظيم من الذكاء والنشاط وقد ابى ان يسمح للاجنبي باستعباده وتمكن من التغلب على الامبراطورية الروسية العظيمة . اذا اجزنا لجمعية الامم باتساع شوكتها على العالم اجمع نجدنا امام معضلة اخرى فنتساءل : ماهي الامة ؟ وماهي القاعدة التي ترتكز عليها عندما نقول ان هذا الفريق من الناس يشكل امة ، وذلك الشعب يقتضي له البقاء مستعبداً وراضخاً لنير الاستعمار ؟ لا ندري لماذا يستعمر ذلك الشعب ولا تجوز له المطالبة بحقه في الحياة . قبل الروح العسكرية وحدها هي التي تضطرنا ان نعترف لفريق من الناس ان يشكل امة ؟ اذا كان الامر كذلك فنحن نعزز اذن مبدأ الحق للقوة . ولا شك ان الفرق شاسع بين ما ندعو اليه من المبادئ في خطبتنا وبين ما نجري عليه منها .

ان ايراد مثل هذه الاسئلة لا يفضي الى نتيجة حاسمة بل يوم الناس ويقور في اذهانهم ان جمعية الامم قد انشأت على قواعد عالية وانها ذات صلاحية واسعة في انها لا ترجو منها سوى المحافظة على معالم مدنيتنا الحاضرة ورعاية مصالح الاوربيين انفسهم وصيانة متاجرهم ومشاريعهم الكبيرة . وقد صدقت نظرية الدكتور « كود نهوف كاليرجي » التي رفعها للجمعية في تقرير موضوعه التنظيم الدولي ، وصدقت

جريدة الجورنال الـتي تصدر في جنيف حين تحدثه بوجود فكرة الاتحاد الاوربي قال : —

« ان مسألة سلامة اوربا ادعى الاهتمام واقرب تناولا من مسألة سلامة العالم واقرار السكينة بين البشر ، اذ لو نظرنا الى ما يجري في اسيا من الحوادث وما يقع فيها من المشاكل لادركنا ان هذا الامر اكثر تعقيداً مما كنا نتصور . ولا شك ان تقسيم اوربا الى بضع كتل اقتصادية يؤول بها الى الخراب وهو ضد النظم الاقتصادية الكبيرة المتنوعة التي ظهرت خارج اوربا او هي على وشك الظهور . ان تلك الامم الاوربية اليوم غير راضية عن تسوية تحومها وهي تحاول تبديلها بكل ما اوتيت من قوة . فهذه الفكرة وحدها من شأنها تهديد السلام . لان الاستياء ناشئ اكثره عن بواعث تاريخية وجغرافية واغراض عسكرية وآمال وطنية . فهل من العدالة ابقاء النجوم بين المالك على قاعدة التقسيم الجنسي ؟

قد يوجد وجه للعدل في ذلك غير ان المصالح الاقتصادية تنافي هذا التقسيم . ان مشكلة النجوم الاوربية لا تحل على شكل مرضي بنقل الحدود وتغييرها ، بل بالاقلال من اهميتها وملاشاتها تدريجياً . اما تبديل الحدود فليس له معنى سوى اضرام نار حرب اوروبية جديدة ، وعدم الاكتراث بها يعني اقرار السلام في اوربا لانها متى زالت وتوارت لا يبقى من بدافع عنها . »

ان المسيو كودنهوف يدعو الاوربيين لتنظيم بلادهم ويناشدهم ان يتقدموا في هذا السبيل خطوة خطوة لان الطفرة محال ، حتى يتمكنوا من تشكيل اتحاد اوربي متين . ولا يتسع المجال هنا لتناول افكاره العريضة الحرة وبحثها بالتفصيل والدقة غير اننا نراها بعيدة المنال ، خارجة عن المألوف ، قريبة الى الخيال ، داعية للتفكير والتأمل . هل يعقل ان تزداد الفة جمعية الامم وترتبط عراها المتفككة وتكسب من القوة والمنعة اكثر مما تفقده بتقلص ظلها ، حين تحصر جهودها في رؤية المصالح

الاوربية والمحافظة عليها . ويخال لي انها ستدعى في المستقبل الى غرضين وتتألف « ان صح هذا التعبير » من دائرتين ، الاولى واسعة تتناول العالم بمحيطه وتتسع لجميع الشعوب ، والثانية ضيقة تختص باوربا وحدها وتكون كنواة للاولى .

يظن البعض انه لا يستتب السلام في اوربا الا بتقارب شعوبها و بتكوين حلف بينهم وهم يريدون منا ان نعني بهذا الامر ونجعله ديدننا وشغلنا الشاغل بدلا ان نغرب عن خاطر جمعية الامم معالجته لانصرافها الى الاهتمام بما وكل اليها من المشاغل الكبيرة . ولكن الرأي الصائب والفكر الاصيل بقاء هذه الجمعية محافظة على شكلها الدولي ونظرها الى القضايا العالمية ومناقشتها ، مع علمنا بانها في حاجة ماسة لانقاذ المدنية الغربية من وهدتها لتصبح اوربا وحدة قائمة بذاتها وتأتلف شعوبها ائتلافا طبيعيا كما تودون ، ثم افترضوا ان احد الاميركيين جلس في مكاني واطل من هذه الشرفة على قاعة الجمعية ، وحاول ان ينسب كل واحد من هؤلاء الرجال القاعدين امامه الى جنسياتهم الخاصة ، وكان يجهل الفوارق التي تباعد بين ممثلي الدول الاوربية الا بحسب القسم الاكبر من اولئك السياسيين فرنسا وبين محض عندما يتحدثون ويتكلمون بلهجة باريزية رقيقة . الا يدور في خلده ان المسيو لوشير سياسيا هولانديا ، وان المسيو بول نوكور نائبا ايطاليا ، وان المسيو هنري دي جوفنيل ارستقراطيا اسبانيا ؟ حدثني احد الروسيين انه سمع المسيو بوانكاريه تشابه هيئة تجار مدينة موسكو . ثم ان المسيو البير توماس يشبه البروفسور الهر هيد ليرغ .

لا اريد البحث في هذه المقالة عن المشكلة الانكليزية التركية في الموصل التي كادت تضرم نار الحرب بين هاتين الدولتين ، فانها من جملة الحوادث التي يتوجب على جمعية الامم الاهتمام بها ورعايتها . فبدلا من ذلك رأيتها في دورتها السادسة

لا تبحث سوى دساتير الجمعية ووسائلها العملية ، ومدى صلاحيتها ، وحفظ كيانها بينما كانت اوربا في شهر مارس سنة ١٩٢٥ واجمة هالعة ، كان المستر اوستن تشمبرلين يلقي في مدينة برمنغهام خطابه الذهبي « ظاهره فيه الرحمة وباطنه فيه العذاب » ويعارض فيه فكرة الحري بمقتضى البروتوكول الذي تناقشت فيه جمعية الامم هذه المرة ايضاً . وقد افتتح المسيو بانليفيه ، ذلك الرجل الخير ، الجلسة السادسة للجمعية بخطاب جاء فيه : « لا اظنكم قد نسيتم ايها السادة الجهد الذي بذلناه في تهيئة وتحضير مواد البروتوكول ، حينما حاولت لجنتكم القضائية وهيئتكم العسكرية احكام سد الثغرات التي يخشى ان تنفذ منها الشدة والقسوة . ولا احسكم ساعين عن التعريف الذي اعطيناه للعدوان حيث نعتناه بعد الجنس البشري . ولم يغرب عن بالكم الواجبات الملقاة على عاتق الاعضاء ، والعقوبات الاقتصادية والعسكرية التي تحل بمن يخرق عهد الصيانة » . وتكلم بعده المستر سامبرلين واظهر ان البروتوكول لا يشابه عهد الصيانة . ورد عليه المسيو بولس وتصور بخطاب بين فيه ان كل الاصول التي اقرها البروتوكول ضمن ذلك العهد . مهما حالت هذه المجادلات العقيمة غير المجدية فانكلترا لا تبحثها بصورة عامة لانها تفضل المحافظة على سياستها التجريبية « وايت اند مى » لذلك اتفق عموم اعضاء الجمعية او تظاهروا انهم متفقين على ان اقرار السلام في العالم لا يتم دفعة واحدة بواسطة تنظيم البروتوكول بل بنتج من الاتفاقات الجزأة والمعاهدات التي تعقد بين مختلف الشعوب تحت رعاية جمعية الامم . وبعبارة اخرى ان كتاب السلام الجليل يملى كتابته طبقاً لخطة مرسومة توضع فصوله تدريجياً بالنسبة الى البواعث والاحتياجات الخاصة التي من شانها تحديد الوضعيات النسبية للامم

اذا لم تكن هذه القاعدة الاختيارية التي التزمتها بريطانيا العظمى مفيدة فهي على الاقل قابلة للتطبيق واقع من الناحية . غير ان التكونت اوتي رئيس الوفد

المتفاوي اظهر في خطابه بالمجمع عكس هذا الامر قال :

انت من مزايا الجرنو كول تخفيف وطأة المعارضة والنزاع التي نشأ في اوربا الوسطى ، فضلاً عن كونه عالي ويحاوي على مبادىء التحكيم الاجباري المفروض على جميع الامم بالسواء . فولاه لما قدرت الشعوب اعتداداً على تعهداتها الخاص على وضع حد لاحقادها القديمة . وقد أقر فكرة البروتوكول ايضاً السير كيمون دي ليون مندوب الحكومة الاسبانية ، والسير بيرس مندوب حكومة تشيكوسلوفاكيا اما جمعية الامم فقد انحنت باحترام امام ما انزلت بريطانيا العظمى ، ولكن امام اطمئنانها واضعافهم خطاب المستر هول ، ونكون انت بنهاية موقف لا تدع البروتوكول بالاتي والتوانى تتخلى عن فكرة التحكيم الاجباري .

هل تريد الحكومة البريطانية الاستمرار على التشبث بهذه المقاومة ومعاكسة عواطف الشعوب التي تطلقت من عقالها ؟ الا تدري هذه الحليفة ان معارضتها لفكرة التحكيم الاجباري تزيل الحمدة عن الماء المقدس الذي تحولت فيه انظار الامم بصفة لاسماع الكلمة بلهاتة عن قرب حلول العصر الجديد ؟ ولم تكن تنتظر من المستر اوستن تشامبرلان ، ذلك المفكر الكبير ، عرض فكرة نزع السلاح الادبي واعتبارها الأمن الوحيد الذي تلجأ اليه البشرية انقاذ من الاخطار الداهمة . الا يرى ان نزع السلاح الادبي لا يحقق السلام وان هو الا تاج لامع جميل يوضع على رؤوسنا في خاتمة الموضوع ونهاية الفصل . فما دامت الشعوب تتنازع وتقاتل وتتقدم وما دامت كل امة تطلب لحقوقها الخاصة بالقوة على صيانتها ، فلا سبيل لنزع السلاح الادبي . فمن ذا الذي يقبل مساعدتك بذلك فلا تخوف ولا يخشى نوايا اعدائه التي تضمن ؟

ان الفكرة التي عرضها المستر شامبرلان وحبذها افضل حل عملي واحسن اداة لاقرار السلام وهو قابل للتحقيق ، بعيداً عن المثل ، ولو كان ذلك صحيحاً لما تم الا

حيثما يصل البشر الى اعلى ذروة الكمال الادبي وعلى كل فاننا نأمل من اخواننا الانجليز ان لا يعارضوا مبدأ جمعية الامم الحبوي الا وهو التحكيم الاجباري .

( تعريب الحقوق )

***

## الحكومة تقليدية اكثر مما هي تطورية

الحكومة نظام أمري التجاري . وكل موظف فيها آمر ومأمور فهو ملزم ان يعمل بأمر وقوانين ادارية ، يمليها على من هم دونه وفيما يتاح له ان يتصرف حسب رغبته . وان لاح له رأي سديد يجد عقبات عظيمة في سبيل تنفيذه . وقد لا يتاح له ان ينفذه بتاتاً لأنه يجب ان يستصدر به امراً او اذناً من هيئات عليا عديدة . فانك ترى ان نظامات الحكومات بطيئة التطور جداً ، فضلاً عن انها تفرى روح الامر والانتظار في موظفيها فتظهر هذه الروح في حياتهم الشخصية والعملية ، وتستوقف قوة الاستنباط والاختراع والانشاء والابداع فيهم ، بل تضعف شخصيتهم وتقلل ثقتهم بنفسهم واعتمادهم عليها ، وتضيق دائرة مطامحهم ، واخيراً يتراؤون لك كأنهم آلات في معمل ، وكل واحد منهم بارع في عمله المتكرر فقط وهو وراء دائرة عمله ضعيف الاختبار جداً

« علم الاجتماع »